عصور - تصنيف ج- المجلد 23 / العدد 02 - ديسمبر 2024
EISSN 6278-2600 - ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال: 10.54239/2319-023-002-011(DOI)

انطباعات حول الحركة الوهابية بالحجاز من خلال نماذج من الكتابات الاستشراقية البريطانية -خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر-

Impressions about The Wahhabi Movement in the Hijaz Through Samples of British Orientalists Writings - during the Eighteenth and Nineteenth Centuries

ط.د/خولة بوقوفالة *
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور
جامعة يحي فارس-المدية/ الجزائر
boukoufallah.khaoula@univ-medea.dz
د/ الغالي غربي
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور
جامعة يحي فارس-المدية/ الجزائر
kaligherbi@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2024/07/14 تاريخ المراجعة: 2024/07/18 تاريخ القبول: 2024/10/08

الملخص:

تمكن رواد المدرسة الاستشراقية البريطانية من رحالة، ضباط، سياسيين ودبلوماسيين من تدوين وقائع الحركة الوهابية وملاحظاتهم عنها، وعما شهدته منطقة الحجاز خلال فترة بروزها التي وافقت أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، فضلا عن موقف الدولة العثمانية منها. لتكون بذلك كتاباتهم تلك ومختلف دراساتهم مرجعا هاما يضم آراءهم ومواقفهم منها، وكذا مادة تاريخية خام تهم الباحثين والمختصين في هذا المجال، الراغبين في معرفة الصورة التي جُسدَت عن الشرق في كتابات ودراسات الغرب.

هذا وتروم هذه الدراسة إلى الوقوف على حيثيات "الحركة الوهابية" ومجريات الأحداث في منطقة الحجاز، من مواجهات عسكرية داخل المنطقة في حد ذاتها أو حتى تلك التي دارت

* ط.د/خولة بوقوفالة/ الجزائر

رحاها بين الوهابيين والدولة العثمانية. مع تبيان وإبراز الانطباعات والملاحظات التي جسدها عدد من المستشرقين البريطانيين حول هذا الموضوع. وذلك رغبة في تقديم صورة متكاملة عن الموضوع وعن السياسة البريطانية المنتهجة في المنطقة والتي سعى المستشرقون إلى تطبيقها وتجسيدها على أرض الواقع حتى يسهل السيطرة عليها.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق البريطاني؛ المستشرقون البريطانيون؛ الحركة الوهابية؛ محمد بن عبد الوهاب؛ الدولة العثمانية؛ المواجهات العسكرية؛ محمد علي؛ صورة الآخر.

Abstract:

The British Orientalist School-goers encompassing explorers, officers and politicians, were able to record the facts and observations of the Wahhabi movement and what the Hejaz area witnessed during its period of prominence, which approved the late eighteenth century and the early nineteenth century, as well as the Ottoman Empire's position on it.

This study aims at identifying the course of events of the "Wahhabi movement" and the events in the Hijaz area, from military confrontations within the area or even those between the Wahhabis and the Ottoman Empire. With highlighting of impressions and observations embodied by a number of British orientalists on the subject. In order to provide an integrated picture of Britain's policy in the region, which orientalists have sought to apply and embody on the ground so as to facilitate control of the various regions.

Keywords: Britich Orientalism; British orientalists; Wahhabism; Mohamed bin Abd al-Wahab; the Ottoman Empire; military confrontations; Mohammed Ali; Image of the Other.

- مقدمة:

تعرض رواد المدرسة الاستشراقية البريطانية للتاريخ العثماني بالدراسة والبحث في مختلف مواضيعه، قضاياه ومناحي الحياة فيه. وخلفوا في ذلك كتبا وأبحاثا جمة أورد ضمنها أصحابها معلومات دقيقة عنه في عديد المرات. فكانت ولا تزال مادة تاريخية خام للباحثين، ومصدر المعرفة الأول لآرائهم حوله. ولعل من بين أبرز المواضيع التي تطرقوا بالبحث والتحليل لمجرياتها موضوع "الحركة الوهابية"، الذي أثار مع أواخر القرن

الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر صدى كبيرا في الإيالات العثمانية ومركز الحكم على حد سواء، مع تخوف هذا الأخير من انتشارها وفقدانه لشرعية الحكم. الأمر الذي دفع به إلى التعجيل في تسيير الحملات العسكرية مع الاستعانة ببعض الولاة العثمانيين للقضاء عليه.

هذا ويندرج اهتمامهم بهذا الموضوع وبِسَير الأحداث في الحجاز ضمن شيئين اثنين أولهما: الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية، أما الثاني فيتمثل في رغبة بريطانيا في السيطرة على تلك المناطق والتوسع على حسابها وعلى حساب الخليج العربي. ما جعلها تُوَجه مستشرقيها صوبها لتَقصي الوضع وجمع مختلف المعلومات الخاصة به. وهو ما يفسر كذلك تعدد الدراسات في هذا الجانب إذا ما قورنت بأخرى.

بناء على هذا؛ إلى أي مدى تمكن رواد المدرسة الاستشراقية البريطانية من رسم صورة الحركة الوهابية في كتاباتهم؟ وفيما تتمثل قيمة هذه الكتابات؟ وتبسيطا لهذه الإشكالية أعقبتها بطرح عدد من التساؤلات المحورية هي كالتالي: كيف برزت الحركة الوهابية؟ ما موقف الدولة العثمانية منها؟ وما رأي وموقف رواد المدرسة الاستشراقية البريطانية من كل ذلك؟

تجدر الإشارة هنا، أن هذه الدراسة تروم إلى الوقوف على حيثيات الحركة الوهابية، إبراز وتبيان الرؤية الاستشراقية البريطانية حولها وتسليط الضوء عليها، استنادا إلى بعض التحليل بغية رسم الصورة النهائية له. لذلك كان لزاما علينا الاعتماد في إجراء هذه الدراسة على المنهجين الوصفي القائم على وصف الأحداث ووقائع الأمر، والتحليلي الذي يرتكز على استخراج آراء المستشرقين وتحليلها وتبسيطها حتى يتسنى معرفة الموقف الذي اتخذوه منها.

1-الاستشراق البريطاني بين النشأة والتأصيل:

قبل الحديث عن نشأة الاستشراق البريطاني وتطوره وجب الإشارة إلى نقطة مهمة مفادها أن صلات بريطانيا القوية بالشرق ومساعيها الاستعمارية المبكرة دفعتاها لتوجيه أنظارها صوبه. بالتحديد صوب الخليج، بلاد الشام، العراق وكذا الهند، وإلى إقامة علاقة وثيقة معه. وهو ما انعكس بدوره على نوعية وتعداد دراسات هذه المناطق إذا ما قورنت بأخرى.

بداية، أجمع عدد من الباحثين بأنه يمكن تحديد البدايات الأولى لظهور الاستشراق البريطاني إلى فترة العصور الوسطى، التي شهدت توجها إنجليزيا صوب عاصمة الحضارة الأندلس بغية الاستفادة من علومها. ولعل من بين أبرز الشخصيات التي قصدت المنطقة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر نجد "روبرت أوف تشستر Robert of Chster " و" أدلارد أوف باث Adelard of Bath " (أنظر التعليق رقم: 01) الذي كان من أوائل المتعلمين للغة العربية، وتمكن بفضل اتقانه لها من ترجمة الكتب الخاصة بالرياضيات والفلك للغة اللاتينية. (زناتي، 2006: 96) كما وفد إليها من كل من طليطلة وصقلية عدد من الأشخاص المشبعين بالثقافة الأندلسية والذين عملوا بها في مجال التدريس والترجمة (الجبري، 1995: 185).

ليتزايد الاهتمام البريطاني بالشرق بمرور الزمن وظل مع ذلك كله فرديا على شاكلته الأولى حتى حلول القرن السابع عشر، أين تكونت فيه النواة الأولى للمدرسة الاستشراقية البريطانية. بعد أن تم إنشاء كراسي الدراسات العربية بجامعتي "كمبردج Cambridge" و"أكسفورد Oxford" ومن ثم في مختلف الجامعات البريطانية. ليتطور الأمر أكثر فأكثر بعد قيام بريطانيا بإنشاء قسم للدراسات الشرقية فالعربية والإسلامية، وأتبعتها بإنشاء مدارس وكليات تابعة لها في مختلف البلدان الإسلامية. (النهان، 2012: 27) ومطبعة عربية في أواخر القرن الثامن عشر وهذا كله كان بغية نشر مختلف المؤلفات والكتب والمخطوطات القيمة، ما ساهم بدوره في إثراء الأدب الإنجليزي ووسمه بالصبغة الشرقية (الجبري، 1995: 186).

ولعل من أبرز الشخصيات الاستشراقية التي برزت خلال هذه الفترة بنشاطها الواسع في تعليم اللغة العربية نجد: "سيمون أوكلي Simon Ockley "، "ويليام بدويل William Bedwell"، "إدوارد بوكوك Edward Pocoke" و"جورج سيل George Sale" وغيرهم كثير (أنظر التعليق رقم 02) (المطبقاني، 1995: 28).

لم تتوقف الدراسات الاستشراقية البريطانية عند هذا القرن، بل تطورت أكثر فأكثر، ففي فترة القرن التاسع عشر الذي وافق ما سمي بفترة النهضة الاستشراقية أضحت بريطانيا أعظم قوة استعمارية في العالم، وشهدت الحركة الاستشراقية بها تغيُراً من ناحية الدوافع والأهداف التي يصبوا إليها روادها. وهذا بعد وقوع مناطق عديدة من

الشرق تحت السيطرة البريطانية، وكذا بعد بروز الاستشراق العلمي والسياسي وتكريس العديد من المستشرقين أنفسهم لتحقيق الأهداف الاستعمارية البريطانية وحتى العلمية البحتة (المطبقاني، 1995: 30).

فضلا عن بروزه بشكل أكثر تنظيما بعد تأسيس الجمعيات والمجلات التي تعنى بمختلف الدراسات الاستشراقية على غرار "جمعية البنغال الآسيوية المَلَكِية Royal Asiatic Society of Bengal" التي أسست سنة 1784م، و"الجمعية الملكية الآسيوية Royal Asiatic Society " المؤسسة سنة 1824م، وجريدتها التي تحمل ذات الاسم. (الحيدري، 1996: 43) لتتبعها خلال القرن العشرين بتأسيسها للمؤسسات، المدارس والمراكز البحثية مثل "مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية" و"مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية". وكذا بتأسيسها للمكاتب العربية خلال فترة الحرب العالمية الأولى بمختلف مستعمراتها وأدمجت فيهم المستشرقين ورجال المخابرات والعسكريين (الفيومي: 108- 110).

مما لا شك فيه أن رواد هذه المدرسة قد تعرضوا للشرق بالدراسة والبحث في مختلف مواضيعه وقضاياه، ومناحي الحياة فيه. وخلفوا في ذلك كتبا وأبحاثا جمة كانت ولا تزال مصدر المعرفة الأول لآرائهم حوله. ولعل من بين أبرز المواضيع التي تطرق لها رواد هذه المدرسة بالبحث حول حيثياته وبالتحليل لمجرياته، موضوع "الحركة الوهابية" الذي سنتحدث عنه فيما يلي من الوريقات.

2-الحركة الوهابية برؤية استشراقية بريطانية:

شهدت الدولة العثمانية مع أواخر القرن الثامن عشر حركة انفصالية هددت الوجود العثماني بالمنطقة العربية، بالتحديد في الحجاز والمعروفة بالحركة الوهابية. وقد سميت هذه الأخيرة بهذا الاسم نسبة لصاحبها "محمد بن عبد الوهاب" (أنظر التعليق رقم:03) هذا الذي درس مذهب أبي حنيفة النعمان وأخذ عن علمائه، وبرع في الشريعة وتفسير القرآن إلى أن أفضى به الأمر في نهاية المطاف إلى إنشاء حركة مستقلة لها أتباعها وتلاميذها ومريدوها (المحامي، 1981: 404).

وقد أرجع المستشرق "هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby" (أنظر التعليق رقم 04) سبب بروز هذه الحركة للسياسة التي

اتبعتها الدولة العثمانية في حكمها للمناطق معتبرا إيها المُساهِمَة في بروز وانتشار روح الاستياء في ولاياتها (فيليبي، د.ت: 160). ومن ثم كانت سببا في بروز مثل هذه الحركات.

سعى "محمد بن عبد الوهاب" من وراء حركته هذه إلى إصلاح الوضع بالمنطقة عقب ابتعاد الناس عن الدين الصحيح وانتشار مختلف مظاهر البدع، الخرافات والشرك. ليذيع صيتها بعد اتحاد هذا الأخير مع أمير الدرعية (أنظر التعليق رقم: 05) "محمد بن سعود" (أنظر التعليق رقم: 06) وشرعوا عقبها في الترويج لها ونشر تعاليمها بالمناطق المجاورة مع اقتطاعها من الدولة العثمانية تمهيدا لتأسيس دولتهم. حتى تمكنوا من دخول الحجاز وفرض سيطرتهم عليها وعلى الحرمين الشريفين وهو ما أقلق الدولة العثمانية وجعلها تهرع نحو مواجهته والحد من نفوذه (جبارة، 2015: 203).

تماشيا مع ما تم ذكره؛ بين المستشرق "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" (أنظر التعليق رقم: 07) في كتاباته سبب تخوف العثمانيين منها، فذكر أن الولاة والسلاطين العثمانيين قد تخوفوا من الحركة الوهابية بشكل كبير، كون أنها ستجرد السلطان من مكانته الدينية كخليفة أو كزعيم روحي للمسلمين فيفقد بذلك شرعية الحكم. وكذا بسبب معرفتهم بصحة حركتهم ومبادئهم باعتبار أنها قائمة ومتفقة مع ما ورد في القرآن الكريم (بريدجز، 2005: 72- 73).

من جانب آخر؛ وضح كل من المستشرق "كليفورد إدموند بوزورث Clifford Edmund Bosworth" والمستشرقة "آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt" (أنظر التعليق رقم: 08) في كتاباتهما الأهداف الرئيسة لحركة "محمد بن عبد الوهاب" وأجمعاها في الأهداف السابقة الذكر، بل وأدرجت معها المستشرقة فكرة رفض السلطة العثمانية أو سلطة أي خلافة أخرى، وكانت حسبها من الصفات والأهداف الأساسية لهذه الحركة (بوزورث، 1995: 125) (بلنت، 2007، صفحة 232). وهو ما ذهب إليه كذلك المستشرق "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" حين ذكر: {أن ممارسات العثمانيين في المنطقة عدها الوهابيون من مظاهر الفساد التي تتنافى وتعاليم الدين ما جعلهم ساخطين ورافضين لحكمهم ويعدون ذلك مبدءًا من مبادئ حركتهم} (بريدجز، 2005:71).

بالعودة للسياق التاريخي للحركة الوهابية، نجد أن الوهابيين تمكنوا من توسيع مناطق نفوذهم خارج الدرعية المركز الأول للوهابية، وذلك بعد سيطرتهم على المناطق والقبائل المجاورة لها. (يلماز، 1988: 653) وهو ما دفع بالمستشرقة "آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt" إلى القول: بأن نجاح الوهابيين في توسيع رقعتهم الجغرافية وفرض سيطرتهم على مدن عديدة مرده للخطر الأوروبي المحدق بالدولة، وللحملة الفرنسية على مصر اللتان ساهمتا بطريقة أو بأخرى في تفكيك الدولة العثمانية. (بلنت، 2007: 237)

كما بين كل من المستشرق "برنارد لويس Bernard Lewis"والمستشرق "جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt" (أنظر التعليق رقم: 09) أن "محمد بن عبد الوهاب" حاول من خلال حركته هذه العودة إلى الإسلام الصحيح وتنقيته من الشوائب التي علقت به، بل وسعى إلى تنصيب القائد الديني والسياسي للأمة، الذي يمارس سلطته مثلما كان خلفاء النبي يمارسون سلطتهم على أبناء البلاد التي دخلت في الإسلام. وأكدا أن جهوده ومبادئه لم تكن مبادئ دين جديد بل موجهة فقط لإصلاح المفاسد التي برزت بين المسلمين، وبشكل كبير هدفت إلى نشر الدين الصحيح بين البدو في ظل عدم مبالاتهم بأحكامه الصحيحة. وجعلهم والعرب يلتزمون ويتبعون تعاليمه اتباعا دقيقا، مع إعادتهم للحالة التي كانوا عليها يوم كان النبي على قيد الحياة (برنارد، 2007:129)، (بوركهارت، 2007: 63،61، 72-73).

وقد اصطلح المستشرق الأخير اسما جديدا على هذه الحركة فهي في نظره "عبارة عن أرستقراطية تجيء عائلة سعود على رأسها"، وهي كذلك بعد ازدياد نفوذها وتوسعاتها "كومنولث بدوي" كان فيه حكم صاحبه حكما حرا. (بوركهارت، 2007، صفحة 73) في حين كانت في نظر المستشرق "لويس بلي Lewis Pelly " (أنظر التعليق رقم: 10) تحالف وتكتل عدد من القبائل المخضعة، قائم على فكرة دينية ومتقيد بتعاليم رجعية ومضجرة ظهرت في القرن السابع للميلاد (بلي، 1991: 106، 108).

على النقيض من هذا القول؛ كانت الحركة الوهابية في نظر المستشرق "هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Phillby" قيادة مستندة إلى مبادئ دينية وأخلاقية وتعاليم سامية جعلتها تفوز باحترام الشعب وتقديره، وقد أدى

انهيارها في فترة من الفترات إلى عودة العرب للبربرية التي كانوا عليها قبل ظهورها (فيليبي، د.ت: 163).

في ظل ازدياد نفوذ الوهابيين ومع توسعاتهم المتزايدة على حساب المناطق المجاورة للدرعية، سعى شريف مكة إلى مواجهتهم والحد من توسعاتهم مستعينا بالقبائل العربية، فسير ما بين عامي 1790م و1798م ثلاث حملات على نجد بغية القضاء عليهم، غير أن محاولاته تلك منيت بالفشل (الريكي، 2005: 168- 171). كما سيرت الدولة العثمانية عام 1798م حملة عسكرية برية من بغداد صوب الأحساء لذات الهدف السابق الذكر، فتمكنت من السيطرة على قسم كبير من المدينة، غير أنها فشلت في دخول مدن أخرى كونها كانت على درجة كبيرة من التحصن. ما جعل الحملة تعود أدراجها صوب الشمال، غير أن اعتراض ابن الأمير "محمد بن سعود" لها جعلهما على وشك الدخول في صراع طويل توقف بسبب تدخل شيوخ العرب. وانتهى الأمر بخروج العثمانيين من المنطقة صوب البصرة وسيطرة الوهابيين مرة أخرى على الأحساء، مع محاولة منهم لاسترضاء الوالي العثماني بالمنطقة. هذا الأمر زاد حسب ذكر المستشرقة "آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt" من قوة الوهابيين ومن شهرتهم، وجعل منهم حكومة نظامية ذات إدارة مركزية وجيش نظامي تدفع الضرائب بدلا من الإتاوة (بلنت، 2007: 233- 234).

نتيجة لفشل الحملات الأولى ومع ازدياد قوة الوهابيين استعانت الدولة العثمانية للقضاء عليهم بوالي مصر "محمد علي" هذا الذي وضع شرط ترقيته لرتبة بكلربك للدولة لقبول الطلب (يلماز، 1988: 654). وقد ذكر المستشرق "جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt" في هذا الأمر: {أن الدولة العثمانية من باب تشجيع هذا الأخير وعدته بجعل بَاشويَّة دمشق لأحد أولاده بعد أن يُتِم سيطرته على مكة والمدينة. وكان هذا الأمر حسب ذكره طُموحا سعى إليه "محمد علي" منذ البداية حتى يتسنى له الظفر بمكانة مرموقة، وحتى يضفي على اسمه الشهرة فلا تعترض الدولة على مطالبه المستقبلية} (بوركهارت، 2007:129).

سير "محمد علي" حملة عسكرية للقضاء على الوهابيين، ونتيجة لعدم استقرار الأمور في مصر وتخوف هذا الأخير من فقدانها جعلها تحت قيادة ابنه "طوسون باشا"

وأرفق معها عالمان من علماء مصر بغية إجراء نقاشات مع الوهابيين حول ما حملته حركتهم من أفكار. وللعلم تمكن قائد الحملة بعد مشادات ومواجهات عديدة بين الطرفين ودعم مادي ومالي من والده من مواجهة الوهابيين وإعادة الحجاز للحكم العثماني (المحامي، 1981: 408). وبناء عليه تم منح قائد الحملة عام 1812م رتبة باشا وتعيينه حاكما على جدة نظير خدماته ومساعيه لاسترداد المنطقة. (بريدجز، 2005: 145)

هذا النجاح دفع بـ"آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt" للقول: بأن سبب نجاح حملة "طوسون باشا" واستسلام "عبد الله بن سعود" (أنظر التعليق رقم: 11) يعود لسببين اثنين: أولهما يتمثل في فقدان هذا الأخير للأمن في نجد، أما الثاني فتمثل في وقوف البدو إلى جانب العثمانيين نتيجة لتمسكهم بموروثاتهم ورفضهم للتشدد الديني الذي جاء به الحكم الوهابي رفضا مطلقا (بلنت، 2007: 238).

بينما أرجع المستشرق "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" سبب فشل "عبد الله ابن سعود" في حربه هذه لسببين اثنين هما: توقيعه لمعاهدة الاستسلام، وفتور همته رغم انتصاره على العثمانيين في مواجهات عديدة فلم ينتهز تلك الفرص للقضاء عليهم رغم مقدرته. كما بين كذلك أن عدم قدرته على اتخاذ القرار المناسب والتصرف الصائب، وافتقاره للفطنة والبصيرة والمشورة والحصافة السياسية كانت سببا وجيها لما لقيه آنذاك (بريدجز، 2005: 269- 271).

بعد مدة وجيهة قدر "لمحمد علي" أن يفرض سلطته على مصر ويرسخ نفوذه فيها، ما جعله يتوجه صوب مكة لفرض سيطرته عليها وعلى مراكز الوهابيين، وهو ما دفع بالمستشرقين "جون لويس بوركهارتJean Louis Burckhardt" و "جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury" (أنظر التعليق رقم: 12) للقول بأن رغبة هذا الأخير في الظفر بمزايا النصر ومزايا إعادة مكة والمدينة للحكم العثماني، وكذا تخوفه من إسقاطه وطرده من حكم مصر، فضلا عن الأوامر السلطانية التي أمرته بأن يكون على رأس قواته في الحجاز، وتغيب هذا الأخير للسبب السابق الذكر جعلته يعزم على مواصلة الحرب ويتوجه نحو مسرح الأحداث (بوركهارت، 2007: 147، 165)، (دي غاوري، 2000:259).

فزار مكة وتمكن من الالتقاء بشريفها "الشريف غالب" (أنظر التعليق رقم: 13) والتفاوض معه حول الوضع، وقام كليهما بالقَسَم على مساعدة بعضهما البعض ضد الوهابيين، وسلامة حياتهما. ليشرع عقبها في ترميم الحرمين الشريفين، توزيع الصدقات وتقديم الهدايا للعلماء. بعد أن أتم هذا الأمر توجه نحو مواجهة الوهابيين في مراكزهم، غير أن تقاعس "الشريف غالب" في عدد من المرات عن مساعدته جعل "محمد علي" وحسب ما أملته كتابات المستشرق "جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt" يقتنع أن استمرار "الشريف غالب" في السيطرة على الحجاز لن يهيئ له الفرصة في نجاح عملياته العسكرية. لذلك استند إلى المرسوم السلطاني القاضي بالتصرف في أمر "الشريف غالب" وفق الطريقة التي يراها مناسبة فنقض القسم وقام بأسره (بوركهارت، 2007: 147- 150).

هذا التصرف دفع بالمستشرق "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" إلى الاستغراب، ووضَعَهُ في موقف المنذهل، فهو لم يتوقع أن يضع كليهما الثقة في التعهد المقدم، ولا اتحاد الطرفين مع بعض ضد الوهابيين أو كما سماهم "بالمصلحين"، خاصة في ظل تمتع كليهما بالمكر والخداع. وأكد أنه لم يتمكن من فهم تصرف "الشريف غالب" حين وضع الثقة في العثمانيين، بل وبين في موضع آخر من كتاباته أن هذا الأخير لم يعتقد أن "محمد علي" سيقوم بحنث القسم، خاصة وأنه شخص مسلم مدرك لقيمته (بريدجز، 2005: 123، 127، 147، 152).

في حين لم يكن هذا بالأمر الجديد في نظر المستشرق "جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt" فالخيانة وعدم الالتزام بالقسم من سلوك العثمانيين. ويظهر ذلك جليا في قوله: {... في هذه المناسبة أقسما على القرآن بألا يتسبب أحدهما في القيام بشيء يتعارض مع مصلحة وسلامة وحياة الآخر، ... هذا القسم أكده الرجلان على الملأ بعد عدة أسابيع في المسجد الحرام، وذلك بناء على رغبة صريحة من الشريف غالب الذي لم يتعلم أن القسم لا يلتزم به عثماني في أي وقت من الأوقات...} (بريدجز، 2005:147- 148).

وفي قوله كذلك: {... لم يكن السلوك الخائن الذي أتاه الأتراك في المدينة (المنورة) من الحكمة في شيء، ..... والتي وسمت الاسم " تركي" بالخزي والعار في سائر أنحاء

الحجاز}. وكذا في قوله: {ثبت لنا أن خوف الحاكم التركي من أقل الخسائر التي يمكن أن تلحق به يمكن أن تمنعه من مراعاة المصلحة العامة بعين الاعتبار، هذا يعني أن نظر الحاكم التركي لا يمكن أن يمتد مطلقا أبعد من مصالحه الخاصة وأنه على استعداد للتضحية بمصالح مَلِيكِه (سيده) ورفاهية رعاياه في سبيل الحصول على مزايا مالية تافهة} (بريدجز، 2005: 128، 142).

من جانب آخر؛ كان "الشريف غالب" في نظر المستشرق "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" شخصا جشعا، ماكرا ومراوغا في تعامله مع البدو وهو ما أهله لحكم المنطقة. وبين في ذات الوقت أن "محمد علي" كان مخطئا في تصرفه معه فهو لم يكن صديقا للعثمانيين، وفي ذات الوقت كره هيمنة الوهابيين وسعى لإضعاف كلا الطرفين حتى يكون هو المستفيد من كل ذلك (بريدجز، 2005: 155- 156).

وقد أكد هذا الأمر المستشرق والضابط البريطاني "جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury" في كتاباته حين ذكر أن الشريف غالب عمل منذ البداية على اختيار الطرف الأضعف لكنه تريث عقبها بهدف إضعاف كلا الطرفين ويقوم بمواجهتهما وإبعادهما عن المنطقة (دي غاوري، 2000: 232).

لم ينته أمر مواجهة الوهابيين عند هذا الحد، فقد سير "محمد علي" حملة عام 1816م وجعلها تحت قيادة ابنه "إبراهيم باشا" الذي تمكن من السيطرة على مدينة الرس، وعنيزة، وعلى مدينة الدرعية بعد أن دخل في مشادات وحروب مع "عبد الله بن سعود" هذا الذي قرر إيقاف الحرب والتفاوض مع "إبراهيم باشا". وقد انتهى الأمر بالقبض عليه وإرساله للعاصمة العثمانية وإعادة الأملاك والتحف التي استولوا عليها خلال سيطرتهم على المدينة المنورة، ليتم قتله بعد وصوله للعاصمة العثمانية عام 1818م (المحامي،1981 :409).

لا يفوتنا أن ننوه هنا أن بريطانيا كانت من الدول الأوروبية المتابعة لتطور الأحداث عن كثب، فاستغلت بذلك علاقتها بالدولة العثمانية وسعت نحو التقرب من "إبراهيم باشا" عن طريق إرسال الأوامر لضباطها ومستشرقيها القابعين في الجزيرة العربية بتقديم المساعدات له لمواجهة الوهابيين في حال طلب ذلك، بغية بقاء المنطقة تحت السيطرة العثمانية. ويظهر هذا الأمر جليا في الرسالة (سادلير، 2013: 156- 159)

التي وجهها السكرتير الأول للحكومة البريطانية في الهند للمستشرق والضابط البريطاني "جورج فورستر سادلير George Forste Sadleir"، (أنظر التعليق رقم 14) والتي وإن تضمنت عبارات تبرز مساعي بريطانيا لتقديم مساعدات لإبراهيم باشا، فهي في ذات الوقت بينت هدف هذا المستشرق المتمثل في جمع كل ما يمكنه من معلومات حول طبيعة المنطقة، مدنها، وكل ما له أهمية وعلاقة بها (سادلير، 2013: 158).

وتأكيدا لهذا الأمر؛ تحدث المستشرق "هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Phillby" في كتاباته عن قضية المستشرق "جورج فورستر سادلير George Forste Sadleir" وسبب تواجده في الحجاز خلال تلك الفترة، فبين أن هذه المنطقة قد حظيت باهتمام كبير من طرف بريطانيا ما جعلها ترسل عملاءها للبحث عن مناطق ومنافذ للتوسع على حسابها، وقد كان هذا هو هدف المستشرق سادلير وسبب تواجده في الحجاز. فضلا عن ذلك وباعتبار أن من مصلحتها أن تبقى منطقة الحجاز تابعة للدولة العثمانية سيرت بريطانيا حملة عسكرية صوب القطيف تأييدا لحملة كان قد أرسلها "ابراهيم باشا" صوب ذات المنطقة لجمع ممتلكات آل سعود وفرض السيطرة البريطانية في ذات الوقت (فيليبي، د.ت:164- 165).

بالعودة للحديث عن مجريات الأحداث في الجزيرة العربية، نجد أن "عبد الله ابن سعود" الذي أرسل للعاصمة العثمانية وقتل هناك، قد كان في نظر المستشرقين "وليم جيفورد بالجريف Wliilam Gifford Palgrave" (أنظر التعليق رقم: 15) و"جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt" شخصا ولد في قصور السلطة وحمل صفات الطيش، التهور، الطغيان، القسوة والتعصب. فضلا عن أنه ورغم وراثته للشجاعة وقوة الشخصية من والده إلا أنه لم يعرف كيفية إدارة مصالح القبائل الخاضعة له من الناحية السياسية. ما جعله شخصية مكروهة من رعيته (بالجريف، 2001: 50، 52، 56). متفقين بذلك مع ما أملته كتابات المستشرق "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" السابق الذكر.

بوفاة هذا الأخير سيطر "إبراهيم باشا" على الحجاز وانتهى الحكم الوهابي الأول، وعاد حكم المنطقة للدولة العثمانية كمقاطعة تابعة لمصر وظلت على هذا الحال لمدة ثلاث وعشرين سنة، تعاطف فيها سكان المدن مع إبراهيم باشا وقبلوا حكمه ورأوا فيه

حسب ذكر المستشرقة "آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt" المخلص من الحكم الوهابي. غير أن تصرفات الحاميات العثمانية غير اللائقة جعلت السكان يتمردون على الحكم ويقومون في عامي 1822م و1823م بإعداد مذبحة للقوات العثمانية تلتها انتفاضة تحت قيادة "تركي بن سعود" أسفرت عن طرد ما تبقى من القوات وإعادة تأسيس الأسرة مع الاعتراف بهذا كأمير من طرف قبائل وسط الجزيرة العربية، وهذا كله مع دفع للإتاوات لوالي مصر (بلنت، 2007: 242).

من جانب آخر؛ أرجع كل من المستشرق "جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"، "جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt" و "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" سبب نجاح العثمانيين وفشل الوهابيين لطريقة المواجهات العسكرية التي طبقها الوهابيون في عديد المرات والتي كانت سببا في نجاحهم في البداية، غير أن غيابها في المعارك الأخيرة جعلت المنطقة تعود مجددا للحكم العثماني. وقد كانت هذه الطريقة حسب ذكره وصية سعود لابنه عبد الله والمتمثلة في الابتعاد عن مواجهة العثمانيين في السهول المفتوحة، بل وأكد أنه لو التزم الوهابيون بتعاليمه لضمنوا سيطرتهم على الحجاز (بريدجز، 2005: 270)، (بوركهارت، 2007:167).

تماشيا مع ما تم ذكره؛ وقبل أن نتم الموضوع لابد من الحديث عن أبرز عمل قام به "إبراهيم باشا" عقب انتهاء مهمته في الحجاز، والذي خلف فيه المستشرقون آراء متباينة ومختلفة. والمتمثل في عقد مؤتمر إن صح القول بإحدى مساجد الدرعية، حضره بدعوة منه عدد من علماء الوهابية وأساتذة الشريعة مع عدد من علماء الدين المصريين، أين تم فيه التفاوض والتناقش حول مختلف المسائل الدينية والفقهية، لينتهي الأمر بقتل جميع علماء نجد وأساتذتها مع إلقاء القبض على عدد كبير من كبار أعيان الحجاز. وقد بين هنا المستشرق "وليم جيفورد بالجريف Wliilam Gifford Palgrave" هدف "إبراهيم باشا" من وراء ذلك، والمتمثل حسب رأيه في إعداد جيل جديد لنجد ذو تعليم ورأي أفضل من سابقه، فيكون بذلك حسب هذا الأخير هو من مهد الطريق للحجاز للتقدم والاستمرار. غير أن هذا الأمر لم يحدث، فقد استمر الفكر الوهابي حتى مع الشخصيات والأعيان الجدد. وأكد المستشرق أن تصرفه على أقل تقدير تصرف سليم وحكيم، مستندا في ذلك إلى الفكرة القائلة: {بأن التسامح مع

الجماهير يكون من قبيل الصواب والحكمة، ولكن التسامح مع المتعصبين والمسيئين ربما يكون من قبيل الصواب ولكنه ليس من قبيل الحكمة} (بالجريف، 2001:68- 70).

في ذات السياق؛ كان لسياسة هذا الأخير في خوض الحرب مع الوهابيين وإنقاذه لجيشه من الهلاك وخروجه بمظهر المنتصر منها، دور في وصف المستشرقة "آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt" له بالشجاعة، وهو ما يظهر في قولها: {واقع الأمر أن شجاعة إبراهيم باشا الشخصية النادرة والقدوة الحسنة التي كان عليها هذا الرجل هما اللذان أنقذا الجيش من كارثة محققة} (بلنت، 2007: 241). وفي وصف المستشرق "هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges" له بالحصافة، الشجاعة والذكاء مع القدرة على التعامل مع الجنود وتسيير الأمور. والتي غطت حسب هذا الأخير عن أخطائه (بريدجز، 2005: 272).

علاوة على ذلك؛ حظي "إبراهيم باشا" في كتابات المستشرق "ديفيد جورج هوجارث David George Hogarth" (أنظر التعليق رقم: 16) بوصف مختلف عن سابقه، فهو في نظره "مسلم ليبرالي" كوالده يحمل الصفات الحسنة والسيئة في ذات الوقت، فهو الجريء وكثير الشك، والقاسي المغرور، غير المبالي والمنظم والصبور (هوجارث، 2003 :139).

وبالعودة للحديث عن الجزيرة العربية نجد أن الحكم الوهابي المتحالف مع آل سعود لم ينته، فبمجرد اعتلاء "تركي بن سعود" (أنظر التعليق رقم: 17) عرش الحكم تم اغتياله من طرف أحد أقربائه الذي أعدم بيد "فيصل ابن تركي" (أنظر التعليق رقم: 18) هذا الذي رفض وامتنع عن دفع الإتاوة لمصر، ما جعله يدخل في مشادات وحرب مع والي مصر "محمد علي باشا" الذي تمكن من خلعه عن سدة الحكم وتعيين أحد منافسيه على إمارة الرياض. ومن ثم تم جعله واليا عثمانيا على المنطقة مع أسر الأول بالقاهرة. غير أن فراره أي-فيصل بن تركي-من السجن وطرد منافسه من الإمارة غير مجرى الأمور فقد تم الاعتراف به مجددا كأمير على المنطقة وجرى فرض سيطرته على مختلف المناطق التي وقعت تحت الحكم الوهابي (بلنت، 2007 :243).

3-القيمة التاريخية لكتابات المستشرقين البريطانيين:

عالج عدد من المستشرقين البريطانيين قضية "الحركة الوهابية" في كتاباتهم، وأبدوا آراءهم فيها كل حسب طريقته الخاصة، وحسب المعطيات التي بنى عليها طرحه. فمنهم من عالجها بناء على مشاهدته ومعاينته للوضع، أو كجزء منه باعتباره ضابطا عسكريا مكلفا بالقيام بمهام حكومته، أو حتى كهؤلاء الذين عالجوها بناء على ما ورد في كتابات من قبلهم. فشكلت بذلك كتاباتهم تلك مادة تاريخية متنوعة كُتِبت بقلم غربي عن منطقة شرقية.

ساهمت جميعها في إعطاء صورة عن تاريخ الحركة الوهابية، سيرورة الحياة في الحجاز والوضع الذي شهدته والدولة العثمانية خلال بروز هذه الحركة. فضلا عن إعطائها صورة عن السياسة البريطانية المتبعة في المنطقة، وخططها القائمة على إرسال المستشرقين لاقتناص الأخبار، معرفة الطرق وجمع المعلومات اللازمة. والتي بدورها استعملت في التخطيط لهذه المناطق والسيطرة عليها.

ناهيك عن أن عددا منهم سعى من خلال كتاباته تلك إلى إعطاء صورة مشينة للدولة العثمانية، وللحركة الوهابية من جهة وللإسلام من جهة أخرى، كمحاولة منهم لتشويه وتزيف المعلومات وإبرازها بصورة منفرة. ولعل هذه الأمور مجتمعة تساعد الباحثين والمهتمين بالدراسات الاستشراقية في معرفة فكر كل مستشرق والكتابة عنه وعن شخصيته، غرضه من وراء هذه الكتابات، وحتى عن علاقة الحكومة البريطانية به وبالمنطقة العربية خلال فترة تواجده بها. لذلك كان لزاما عليهم وعلى كل دارس لهذه الكتب ولمثلها بناء صورة كاملة عن تاريخ الحركة الوهابية من مصادره المحلية الرئيسة أولا، التأني في قراءة الكتب الاستشراقية ثانيا حتى يسهل عليه استخراج الآراء ومعرفة النزيهة منها من المشوهَة.

من جانب آخر، ومن باب نقد عدد من الكتابات الاستشراقية السابقة الذكر توجه عدد من الباحثين العرب نحو دراسة كتابات بعض من المستشرقين وتحليلها ومن ثم تقديم نظرة نقدية وتقييمية حولها. ومن باب الإشارة نالت كتابات بعض من المستشرقين الضباط نصيبا من ذلك، فعلى سبيل المثال لا الحصر: أكد عدد من الباحثين أن المستشرق والمستشار البريطاني "هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry

St. John Bridger Phillby" ورغم كونه مستشرقا وضابطا بريطانيا إلا أنه وإن صح القول كان غير متقبل لسياسة بلده ومناقضا لها، ساع لتقديم المشورة والنصح لملك الأسرة السعودية (ساتي، 2014: 11- 12). ومع ذلك لا يمكننا الجزم بكل هذه الأقوال فهو يظل مستشرقا وضابطا استخباراتيا عمل لصالح الحركة الاستعمارية البريطانية. دون أن ننسى المستشرقين المنتمين لفئة الضباط العسكريين، والذين وإن كانت كتاباتهم دقيقة في جوانب كثيرة -كونها تخدم الجانب الاستخباراتي والعسكري-إلا أنها تلزم الباحث بعدم الأخذ والتصديق بما جاءت به بشكل مطلق.

في حين عد بعض الباحثين كتابات الرحالة المستشرقين من بين الكتابات الاستشراقية الأكثر دقة وموضوعية، تقدم معلومات جمة قد لا نجدها في الوثائق التاريخية. ومع ذلك هي الأخرى تلزم الباحث بالاستناد إلى الشك، النقد والتحليل حتى يتسنى كله معرفة مدى دقة المعلومات الواردة فيها. على غرار كتابات المستشرق والرحالة "جون لويس بوركهارتJean Louis Burckhardt" (نواصر، 2022 :391).

أما بالنسبة لكتابات المستشرقين من فئة الأساتذة والمؤرخين من أمثال المستشرق "برنارد لويس Bernard Lewis" فهي كتابات معروفة بعدم التزام صاحبها فيها بالمنهجية العلمية رغم احتوائها على معلومات دقيقة. سعى فيها صاحبها إلى تطويع القضايا لما يلائم طرحه، واعتمد فيها بشكل كبير على كتابات من سبقه من المستشرقين. فكانت كغيرها من الكتابات الاستشراقية تستدعي القراءة والبحث المطول فيها، والنقد والتشكيك في محتوياتها (صبحي، 2005: 519- 520).

- خاتمة:

ختاما، وبالحديث عن الحركة الوهابية وتوسعاتها المتزايدة على حساب مناطق الجزيرة العربية، وما خلفته من خوف وارتياب في نفوس العثمانيين قائم على فقدان الخلافة والمناطق العربية على حد سواء، وسعيهم لمواجهتها قبل استفحال الأمر استنادا إلى الحملات العسكرية البرية والبحرية. نجد أن مجريات هذه الأحداث التي دامت عددا من السنين كلها قد دونت في كتابات المستشرقين البريطانيين. وخلفوا في ذلك آراء متباينة بين التأييد للوهابيين أو الرفض لهم.

-بين المستشرقون البريطانيون أن ما جاء به "محمد بن عبد الوهاب" لم يكن مذهبا جديدا، بل حركة موجهة لإصلاح ما فسد واختل في جانب الدين في مختلف مناطق الجزيرة العربية. ورغم ذلك فهي لم تنل استحسان أو قبول عدد كبير منهم لعلاقتها بالدين الإسلامي وهو أمر يمكن أن يدرج ضمن فكرة الصراع المسيحي مع الإسلام.

-رغم انتماء مختلف المستشرقين السابقي الذكر لمدرسة واحدة، وسعي أغلبهم لتنفيذ السياسة البريطانية وتحقيق أهدافها، نجد أن لكل واحد منهم رأي حول فكرة الأحقية، فكل مستشرق أيد طرفا ما على حساب الآخر وكانت الحظوة في ذلك كله للوهابيين. وهو ما يثير في ذهن الباحث احتمالا حوله يتجسد في سعي المستشرقين لتبيان وتجسيد "سياسة التفرقة بين الحاكم والمحكوم" الواضحة في كتاباتهم والتي تخدم السياسة البريطانية، فبخروج الحجاز عن السيطرة العثمانية يفتح لبريطانيا المجال لفرض سيطرتها وتحقيق مساعيها الاحتلالية.

-من خلال الاطلاع على كتابات المستشرقة "آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt" ورغم ما حظيت به الدولة العثمانية وشخصياتها من أوصاف حسنة نجد أن هذه الأخيرة قد أيدت في عديد المرات الوهابيين. وهو ما يبرز بشكل كبير من خلال الأوصاف غير اللائقة التي انهالت على الدولة العثمانية في حد ذاتها.

-من خلال الاطلاع على بعض من كتابات المستشرق "هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Phillby" نجد أن هذا الأخير كان من بين المؤيدين للحركة الوهابية والرافضين للحكم العثماني للمنطقة، وهو ما يبدو جليا من خلال الأوصاف التي انهالت على سبيل المثال على "ابراهيم باشا" فهو الإرهابي والساعي إلى بث الرعب في نفوس أهالي الحجاز.

-على النقيض من ذلك، بدا كل من المستشرق "بوركهارت Burckhardt"، "سادلير Sadleir"، "دي غاوري de Gaury"، وكذا "بالجريف Palgrave" بمظهر المؤيد للحكم العثماني وسياسته فقد كانت الألفاظ المستوحاة من كتاباتهما تدل على ذلك رغم تخللها بأوصاف نقيضة للأولى.

- هذا التأييد كان هدفه التقرب من الحكام للسماح لهم بالتجول في المناطق بأريحية تامة، وبالتالي فهو لم يكن تأييدا حقيقيا ولكنه تضمن أهدافا خفية.

-هذا ولعل النقطة المشتركة بين هؤلاء المستشرقين جميعا تتمثل في محاولاتهم المتكررة لربط تصرفات الأشخاص بالإسلام ربطا مباشرا، فكلما أخطأ أحدهم التصرف ردوه للإسلام كمحاولة منهم لتشويهه، وزعما منهم أن هذا هو شكل هذا الدين. متناسين أن تصرفات الأشخاص منوطة بشخصياتهم وعائدة عليهم لا على الدين. وهو ما يؤكد الفكرة السابقة القائلة باستمرارية الصراع المسيحي مع الإسلام بمرور الزمن وتغير الشخصيات فلم يختلفوا بذلك عن المستشرقين السابقين لهم والمشوهين للدين والتاريخ الإسلاميين.

-هذا علاوة على استخدامهم لمصطلحات ذات علاقة بالدين المسيحي لوصف أمور تتعلق بالمسلمين والدين الإسلامي. وهو ما يتنافى وشروط الكتابة التاريخية.

- التعليقات:

- التعليق **01**: روبرت أوف تشستر Robert of Chster (1041-1148م): راهب وقس بريطاني، دارس للرياضيات وعلوم الفلك، ومتقن للغة العربية فهما وكتابة، ما مكنه من ترجمة عدد من الكتب العربية للغة اللاتينية في مجال بحثه، ومن إعداد أول ترجمة للقرآن الكريم (العقيقي، المستشرقون، د.ت: 113).

- أدلارد أوف باث Adelard of Bath (1070-1135م): مستشرق ومنصر بريطاني، زار كلا من الأندلس وسوريا وتمكن من تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وترجمة عدد من الكتب العربية. ليعود بعد إتمامه لهذا الأمر لبلده ويشرع في العمل كمعلم للأمير "هنري" أو المعروف بـ"هنري الثاني" (الحمد النملة، 1998: 51).

- التعليق **02**: سيمون أوكلي Simon Ockley (1678-1720م): مستشرق ورئيس قساوسة بريطاني، كلفته بريطانيا عام 1714م بترجمة الوثائق الرسمية القادمة من المغرب بغية عقد معاهدة بين البلدين والتي تمت في شهر جويلية من ذات السنة. من أعماله: "تاريخ الإسلام"، "قصص عن جنوب غربي بلاد المغاربة" (العقيقي، المستشرقون، د.ت: 46).

- ويليام بدويل William Bedwell (1561-1632م): منصر، مستشرق وأستاذ لغة عربية، معروف بين جموع الباحثين والمستشرقين بكونه رائد الدراسات الشرقية والعربية البريطانية وواضع أسسها. من بين أبرز أعماله: المعجم العربي الذي يقع في

سبعة أجزاء، بالإضافة لكتابه المسموم بمحمد أو مصاحبة روحانية بين الشيخ سنان والعالم أحمد (العقيقي، 2006: 39).

- إدوارد بوكوك Edward Pocoke (1648-1727م): مستشرق وابن مستشرق بريطاني، يحمل نفس اسم والده، إتقانه للغة العربية جعله يترجم حي بن يقظان لابن الطفيل وكتبا أخرى (العقيقي، 2006 : 45).

- جورج سيل George Sale (1697-1736م): مستشرق بريطاني متقن للغة العربية، ومهتم بالإسلام اهتماما كبيرا جعله يوصف "بنصف مسلم"، اتقانه للغة العربية جعله يترجم القرآن الكريم للغة الإنجليزية، وقد أضاف عليها مقالا تمهيديا تحدث فيه عن تاريخ العرب قبل الإسلام (بدوي، 1993: 358- 359).

- التعليق **03**: محمد بن عبد الوهاب: من مواليد عام 1691م وقيل عام 1703م بمدينة الدرعية الواقعة بالحجاز، حفظ القرآن وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، درس الشريعة وتفقه فيها، ودرس كذلك المذهب الحنبلي واتبعه. أدى فريضة الحج وزار المدينة المنورة ثم البصرة، وأخذ العلم عن شيوخها وعلمائها. ليشرع بعد العودة لمدينته في بث دعوته منها لينتقل عقبها للمدن الأخرى في الحجاز. وللعلم تمكن بن عبد الوهاب من التحالف مع أمير الدرعية محمد بن سعود وضمه لصفه، الأمر الذي زاد من أتباع هذه الحركة ومريديها أكثر فأكثر (الجهني، 2016 : 239- 240).

- التعليق **04**: هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Philipy (1885-1960م): أستاذ، مستشرق وخريج جامعة أكسفورد، سخر نفسه لخدمة الأهداف الاستعمارية البريطانية، فعمل كمستشار بوزارة الداخلية في العراق، وانتدب رئيسا للجهاز السري للانتداب البريطاني على فلسطين، ورئيسا للبعثات البريطانية الموجهة للجزيرة العربية والأردن. كما عمل كمستشار للمملكة العربية السعودية، ومن ثم انتدب كأستاذ زائر في الجامعة الأمريكية ببيروت. زار هذا الأخير عددا من البلدان العربية والإسلامية وجمع في خضم ذلك معلومات عديدة عنها شاملة لمختلف الميادين السياسية، الاجتماعية وحتى الطبوغرافية. كما مكنته زيارته تلك من الالتقاء بعدد من المستشرقين البريطانيين من أمثال: "لورنس العرب" و"غيرترود بيل". ليفضي به الأمر في الأخير إلى ترك دينه واعتناق الإسلام. خلف هذا المستشرق عددا هائلا من الكتب

والدراسات والمقالات من أمثال كتابه الموسوم بـ"Arabian Days"، "قلب الجزيرة العربية" و "جزيرة العرب في عهد الوهابيين"...وغيرها (عبد الغني ابراهيم، 2013: 232).

- التعليق **05**: الدرعية: مدينة سعودية قديمة، يعود بناؤها إلى القرن التاسع للهجرة. تقع غرب مدينة الرياض، وقد اشتهرت بسبب انتشار الحركة الوهابية بها، واتخاذ الأسرة السعودية الأولى منها سكنا لهم (العفيفي، 2000: 230).

- التعليق **06**: محمد بن سعود: اسمه الكامل محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، من قبيلة المسالخ. تولى الحكم بعد وفاة سعود وتمكن خلال فترة حكمه من التحالف مع محمد بن عبد الوهاب. ليشرع عقبها في الترويج لحركته والدعوة لها (بن هذلول، 1961: 06).

- التعليق **07**: هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges (1764-1847م): مستشرق، دبلوماسي، سفير بريطاني ووزير مفوض في البلاط الفارسي. متقن للغة الفارسية. عمل في كل من الهند وشركة الهند الشرقية. (Perry j. , pp. 488- 489), (Perry J. , 1989, pp. 488- 489)

- التعليق **08**: كليفورد إدموند بوزورث Clifford Edmund Bosworth (1928-2015م) مستشرق ومؤرخ بريطاني للشرق الأوسط الإسلامي، دارس للغة العربية، الفارسية والتركية، ومتحصل على درجة الدكتوراه عام 1961م عن دراسة أجراها حول انتقال الشرق الإسلامي من الحكم الغزنوي للحكم السلجوقي أو بشكل أدق "transition from Ghaznavid to Seljuq rule in the Islamic East". خلف كتبا ودراسات غزيرة في التاريخين الإسلامي والأفغاني، كان قد ألف عددا منها لوحده مثل كتابه الموسوم بـ"The Islamic Dynasties"، وألف أخرى بالاشتراك مع بعض المستشرقين مثل الكتاب الموسوم بـ" The Legacy of Islam" الذي كتبه بالاشتراك مع المستشرق شاخت(O'Neal, 2015, pp. 179, 183, 187).

- آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt (1837-1917م): مستشرقة، مُنَصِّرَة ورحالة بريطانية، رحلت رفقت زوجها المستشرق بلنت صوب الجزيرة والخليج العربيين ونشطت في مجال التنصير. من مؤلفاتها الكتاب الموسوم بـ"الحج إلى نجد" وكذا "القبائل البدوية في الفرات" (الحمد النملة، 1998: 66).

-التعليق **09**: برنارد لويس Bernard Lewis (1916- 2018م): مستشرق بريطاني أمريكي ذو أصول يهودية، متخصص في تاريخ الدولة العثمانية، الشرق الأوسط وتاريخ الإسلام. متحصل على درجة الدكتوراه من جامعة لندن عام 1939م وناشط في مجالات عديدة تنوعت بين التأليف، إلقاء المحاضرات وإجراء المقابلات والمناظرات. خلف هذا الأخير أزيد عن ثلاثين كتابا ومقالات جمة نشرت في مجلات تعنى بالدراسات الاستشراقية. من بينها " The Arabs in History"، " The Emergence of Modern Turkey". (Kramer, 1999, pp. 719- 720),(Hillenbrandm, 2020, p. 233) .

- جون لويس بوركهارت أو يوهان لودفيك بوركهارت Johann Ludwing Burckhardt (1784-1817م): مستشرق ورحالة سويسري، منتحل لاسم إبراهيم بن عبد الله. كرس نفسه لخدمة أغراض الجمعية البريطانية الإفريقية، فقام خلال مطلع القرن التاسع عشر بزيارة سوريا، شبه الجزيرة العربية، السودان، وأثمرت رحلاته هذه عن اكتشافه للبتراء سنة 1812م، وتأليفه عددا من الكتب الواصفة لمشاهداته على غرار كتابه الموسوم بـ"رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان" وكتاب"Notes on the Bedouins and Wahabys" (بيرين، د.ت: 216- 217).

- التعليق **10**: لويس بليLewis Pelly (1825-1892م): مستشرق ومقيم بريطاني بالخليج، انضم لشركة الهند الشرقية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، كما أمضى حياته المهنية بالخدمة في الهند، بلاد فارس وساحل الخليج وتمكن من زيارة مختلف مناطقهم والترحال بينهم بما في ذلك الرياض وعمان...(stapley, 2014) .

- التعليق **11**: عبد الله بن سعود: أو عبد الله الأول بن سعود، تولى الحكم عام 1814م ولم تدم مدة حكمه أزيد عن أربع سنوات، قام خلالها بمواجهة الحملات العثمانية الموجهة للقضاء على الوهابيين والتي كلف بها ابن محمد علي إبراهيم باشا، وكانت نهايتها استسلام عبد الله بن سعود ونقله رفقة عائلته لمصر ومن ثم للأستانة التي قتل فيها (بن هذلول، 1961: 14).

- التعليق **12**: جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury (1897-1984م): مستشرق، دبلوماسي، مصور، ضابط ووكيل سياسي بريطاني في الكويت، متعلم للغة العربية ومتقن لها، زار بطلب من الحكومة البريطانية شبه الجزيرة العربية وتزيا بلباس العرب

خوفا من القتل. أقام علاقات مع ابن سعود كجزء من مهمته وقد سمح له تواجده بالمنطقة لإدارة الأمور السياسية والاستخباراتية البريطانية المضادة. من أعماله: "Faisal King of Saudi Arabia"، "Review of the Anizah Tribe" (Andrew, 2015)).

- التعليق **13**: الشريف غالب: هو من أمراء مكة واسمه الكامل غالب بن مساعد، وقد تولى الإمارة عام 1788م وشهد عهده فيها بروز الحركة الوهابية وازدياد نفوذها وتوسعها في ممتلكاتهم، ونظرا لعدم قدرته على مواجهتهم قام بإرسال رسالة للسلطان العثماني عام 1796م يطلب فيها النجدة منه، غير أن انشغال الدولة بخطر الحملة الفرنسية على مصر منعها من توجيه نظرها للحجاز وتقديم المساعدة. وهو ما دفع به لعقد صلح مع الأمير الوهابي، غير أن هذا الأمر لم يدم طويلا فسرعان ما دخل في صراع طويل معهم أفضى في النهاية إلى سيطرة الوهابيين على مكة. وإلى تسيير العثمانيين للحملات العسكرية لمواجهتهم خوفا من فقدان المنطقة والذي ذكر في متن الدراسة. وللعلم كانت نهاية الشريف غالب بأن أرسل كأسير للعاصمة العثمانية وتخصيص بيت له في سلانيك كانت وفاته فيه عام 1817م (جارشلي، 2003 : 193- 201).

-التعليق **14**: جورج فورستر سادلير George Forste Sadleir (1798-1859م): مستشرق بريطاني، قائد في سلاح المشاة وممثل لشركة الهند الشرقية عام 1820م. قصد الجزيرة العربية خلال القرن التاسع عشر كمبعوث، وذلك للقيام بمهمة كان قد كلفه بها الحاكم البريطاني في الهند والمتمثلة في حشد القوات المحلية من آل بوسعيد بمسقط بغية الإطاحة بالقبائل المهددة للملاحة في الخليج ولمصالح شركة الهند الشرقية. وكذا بمهمة الالتقاء بإبراهيم باشا وتهنئته على نجاحه في حربه ضد الوهابيين وتقديم المساعدة له في حال أراد ذلك، والاشتراك معه ضد الجواسميين المهددين للملاحة، غير أن طلبه قد رُفض فعاد إلى الهند (Kinsella & Terry, 2009).

-التعليق **15**: وليم جيفورد بالجريف Wliilam Gifford Palgrave (1826-1888م): مستشرق ومنصر بريطاني، من الرهبانية اليسوعية أو الجزويت في لبنان، اشتغل بالتنصير، الدبلوماسية والتجسس. قصد الجزيرة العربية بهدف تنصير المسلمين، لكنه طرد منها بعد أن كشف أمره. من آثاره: "رحلتي إلى أواسط وشرقي الجزيرة العربية" (الحمد النملة، 1998: 61).

-التعليق **16**: ديفيد جورج هوجارث David George Hogarth (1862-1927م): مستشرق بريطاني وعالم من علماء الآثار، قصد الشرق للتنقيب والاستكشاف فزار كريت، قبرص، سوريا ومصر. ليترأس خلال فترة الحرب العالمية الأولى أحد المكاتب العربية بالقاهرة، كما شغل منصب ممثل خاص للمندوب السامي البريطاني بمصر. خلف هذا الأخير كتبا عديدة من بينها: "الباحث الجائل"، "الشرق القديم"، فضلا عن أن له أزيد عن ست وخمسين دراسة وبحث (جورج، 2009 : 20- 26).

-التعليق **17**: تركي بن سعود: هو ابن عبد الله بن محمد بن سعود دخل قبل توليه للحكم في صراع مع أبناء عمومته، ليجعل عقب توطيده لدعائم حكمه من الرياض مقرا له. تواصلت خلال عهده سلسة الحروب مع الدولة العثمانية، والتي سارت بين فرار لتركي وسيطرة للعثمانيين على المنطقة وعودة للحكم وفرض سيطرته على المدن مرة أخرى، لينتهي أمره بمقتله على يد أحد أبناء عمومته (بن هذلول، 1961: 18).

-التعليق **18**: فيصل بن تركي: اسمه الكامل فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، شرع عقب وفاة والده برد ثأره من قاتله وكان له ذلك، ليبايع بعدها حاكما للمنطقة، ففرض سيطرته وهدأت الأوضاع لمدة أربع سنوات. دخل بعدها في حروب مع الدولة العثمانية هذه التي عينت منافسا آخر له في الحكم ما جعل القبائل العربية تنقلب عليه ففر نحو الأحساء، ليعود لها مجددا بعد انهزام منافسه والدولة العثمانية (بن هذلول، 1961 : 19- 22).

قائمة المصادروالمراجع:

1-بالجريف وليم جيفورد، (2001). وسط الجزيرة العربية وشرقها (الإصدار د. ط). (محمد حسن صبري، المترجمون) مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

2-بدوي عبد الرحمن، (1993). موسوعة المستشرقين (الإصدار 03). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

3-بريدجز هارفرد جونز، (2005). موجز لتاريخ الوهابي (الإصدار 01). (عويضة بن متيريك تر، الجهني، المترجمون) الرياض، المملكة العربية السعودية: دارة الملك عبد العزيز.

4-بلنت آن، (2007). الحج إلى نجد (الإصدار د. ط، المجلد 02). (محمد محسن صبري، المترجمون) مصر: المركز القومي للترجمة.

5-بلي لويس، (1991). رحلة إلى الرياض (الإصدار 01). (عبد الرحمن عبد الله الشيخ، وعويضة بن متيريك حامد الجهني، المترجمون) المملكة العربية السعودية: مطابع جامعة الملك سعود.
6-بن هذلول سعود، (1961). تاريخ ملوك آل سعود (الإصدار 01). المملكة العربية السعودية: مطابع الرياض.
7-بوركهارت جون لويس،(2007). ملاحظات عن البدو والوهابيين (الإصدار 01، المجلد 02). (محمد حسن صبري، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
8-بوزورث كليفورد إدموند، (1995). الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي دراسة في التاريخ والأنساب (الإصدار 02). (حسين علي، اللبودي، المترجمون) الكويت: الشراع العربي.
9-بيرين جاكلين، (د.ت). اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم (الإصدار د.ط). (قدري، قلعجي المترجمون) دار الكاتب العربي.
10-جارشلي إسماعيل حقي، (2003). أشراف مكة وأمراؤها في العهد العثماني (الإصدار 01). (خليل علي مراد، المترجمون) بيروت، لبنان: الدار العربية للموسوعات.
11-جبارة تيسير، (2015). تاريخ الدولة العثمانية 1280-1924 (الإصدار د.ط). فلسطين: جامعة القدس المفتوحة.
12-الجبري محمد. ع، (1995). الاستشراق وجه الاستعمار الفكري (éd. 01). مصر : مكتبة وهبة.
13-الجهني عويضة بن متيريك،(2016). نجد قبل الوهابية. (إحسان زكي، المترجمون) بيروت، لبنان: جسور للترجمة والنشر.
14-الحمد النملة ع. ب، (1998). المستشرقون والتنصير دراسة للعلاقة بين الظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصرين (éd. 01). الرياض, المملكة العربية السعودية : مكتبة التوبة.
15-الحيدري إبراهيم، (1996). صورة الشرق في عيون الغرب -دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي (الإصدار 01). بيروت، لبنان: دار الساقي.
16-دي غاوري جيرالد، (2000). حكام مكة (الإصدار 01). (محمد شهاب، المترجمون) القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.
17-الريكي حسن بن جمال بن أحمد، (2005). لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب (الإصدار د.ط). الرياض، المملكة العربية السعودية: دارة الملك عبد العزيز.
18-زناتي أ. م،(2006). زيارة جديدة للاستشراق مع دراسة للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم (éd. 01). مصر : مكتبة الأنجلو المصرية.

19-ساتي ح، (2014). قصة عبد الله فيليبي من وثائق المخابرات البريطانية 1929-1948 (éd. 01). بيروت, لبنان : جداول.

20-سادلير فورستر جورج، (2013). مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام 1819م (الإصدار د.ط). (أنس الرفاعي، المترجمون) مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

21-صبحي ع. ا، (2005). المستشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي. مجلة كلية دار العلوم 13.

22-عبد الغني ابراهيم ع. ا، (2013). روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية (éd. 01, Vol. 03). بيروت : دار الساقي.

23-العفيفي عبد الحكيم، (2000). موسوعة 1000 مدينة إسلامية (الإصدار 01). بيروت، لبنان: أوراق شرقية

24-العقيقي نجيب، (د.ت). المستشرقون (الإصدار 04، المجلد 01). القاهرة، مصر: دار المعارف.

25-العقيقي نجيب، (2006). المستشرقون (éd. 05, Vol. 02). القاهرة : دار المعارف.

26-فيليبي هاري سنت جون، (د.ت). تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية. (عمر، الديراوي، المترجمون) بيروت: المكتبة الأهلية.

27-الفيومي محمد إبراهيم، (2010). الاستشراق رسالة استعمار (الإصدار 01). الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.

28-الكيالي عبد الوهاب، (1979). موسوعة السياسة (الإصدار 01، المجلد 01). بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

29-الكيالي عبد الوهاب، (د.ت). موسوعة السياسة (الإصدار د.ط، المجلد 06). بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

30-لويس برنارد، (2007). أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدنس (الإصدار 01). (مالك محسن حازم، المترجمون) العراق: دار ومكتبة عدنان.

31-المحامي فريد بك، (1981). تاريخ الدولة العثمانية (الإصدار 01). بيروت، لبنان: دار النفائس.

32-المطبقاني م. ب، (1995). الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي-دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس (éd. د،ط). الرياض: مكتبة فهد الوطنية.

33-النهان محمد فاروق، (2012). الاستشراق تعريفه ومدارسه وآثاره. الرباط، المملكة المغربية: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

34-نواصر ع. ا، (2022). دور رحلات "جون لويس بوركهارت" (1784-1818) في الكتابات التاريخية. مجلة دراسات تاريخية 01 (10).

35-هوجارث ديفيد جورج، (2009). اختراق الجزيرة العربية (الإصدار 02). (محمد 35-حسن صبري، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

36-يلماز أوزتونا، (1988). تاريخ الدولة العثمانية (المجلد 01). (محمود سلمان عدنان، ومحمود مرا، الانصارى، المترجمون) استنبول: مؤسسة فبصل للتمويل.

37-Andrew, D. (2015). Gerald de Gaury. Récupéré sur Kemptown estate Histories : https://www.kemptownestatehistories.com/sussex-square/house-histories/18

38-Hillenbrandm, C. (2020, 08 25). Bernard Lewis 1916- 2018. Consulté le 07 13, 2023, sur The British Academy: https://www.thebritishacademy.ac.uk/publishing/memoirs/19/lewis-bernard-1916-2018/

39-Kinsella, E., & Terry, C. (2009, 10). Sadleir, George Forster. Consulté le 08 07, 2023, sur Dictionary of Irich Biography: https://www.dib.ie/biography/sadleir-george-forster-a7894

40-Kramer, M. (1999). Bernard Lewis. Encyclopedia of Historians and Historical Writing, 01, 719- 720.

41-O'Neal, M. (2015). Clifford Edmund Bosworth, An Updated Bibliography. The Journal OF Middle East Medievalists, 23 (01), 179-217.

42-Perry, j. Brydges Harford Jones. Encyclopaedia Iranica , 05, 488- 489.

43-Perry, J. (1989, 12 15). Brydges Harford Jones. Consulté le 07 13, 2023, sur Encyclopaedia Iranica: https://www.iranicaonline.org/articles/brydges-sir-harford-jones

44-stapley, K. (2014). A Portrait of Sir Lewis Pelly. Consulté le 06 25, 2023, sur Qatar Digital Library : https://www.qdl.qa/en/portrait-sir-lewis-pelly